سيميائية غريماس السردية وإيديولوجية الانغلاق
من إنتاجية المعنى إلى محدودية القراءة

د. بن سنوسي سعاد
معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي بغليزان

ملخص البحث

شكّل النسق السردي حقل الاستقصاء السيميائي البنوي بامتياز، حيث أفضت الأفكار القرائية المشارة حوله إلى خلق مقولات إجرائية هيمنت على التفكير النسقي في الدراسات السيميائية، ولاسيما محدّدات "غريماس" المنهجية التي حققت نتائج باهرة في مجال التحليل والاستقراء كونها راجعت أطر النموذجين الشكلي والأنثروبولوجي وأعادت صياغة برامجهما بما يتوافق مع بنية عالم السرد الدلالي، ولكن أمام مراهنتها على النسق المغلق ومبدأ المحايثة وجدنا أنّ رهانها كان محفوفا بالمزالق، الأمر الذي أوقعها في فخ الركون إلى النموذج والتسليم بسلطة التأطير المنطقي للدلالات النصية العميقة.

Résumé :

Les études qui s'intéressent du texte narratif ont permet des mesures d'alphabétisation, ont dominé sur la pensée systématique dans les études sémiotiques, y compris les réalisations de Greimas, qui ont obtenu des résultats probant dans le domaine de l'analyse et de l'extrapolation en cours de vérification des modèles formels et anthropologiques et reformulation dans le cadres de la structure du récit écrit ,et de leur participation dans le contexte de l'intérêt de la systém fermée et le principe immanenciel, ce qui l'a menée à tomber dans le piége et la stagnation puis modèle résume une connotation textuelle profonde.

تجددت نظرية قراءة النصوص السردية في العقد السادس من القرن الماضي تجديدا معتبرا، تمّ على إثره الارتقاء بمستوى الطرح السردي، إذ

تبنى آليات تقنية علمية في مقاربة المادة السردية وتحليل حيثياتها، فبعد أن انعتقت عن أسر التصورات النقدية السابقة، راحت تؤسس لمنهاجها متبنية بذلك جهازا مفاهيميا ومصطلحيا أقل ما يمكن أن يقال عنه أنّه فرض نفسه كركيزة قرائية كفيلة باستقراء النصوص الحكائية ووصف أشكال محتوياتها.

إنّ غاية هذه النظرية التي تزعمها "**غريماس**" والتي شكلت لحظة حاسمة في تاريخ البنوية وما بعدها تكمن في تقعيدها لتصورات نقدية تُعنى بالوقوف على مستويات إنتاج المعنى في المتون السردية، ومنه فإنّ الإمساك بالمعنى ضمن التوجه **الغريماسي**« ليس شيئا آخر سوى إسقاط لوعي موجه إلى ما يمثُل أمامه من خلال سلسلة من العلاقات التي تقود في نهاية الأمر إلى تحديد كم معنوي هو حاصل هذا الإسقاط»[1]، وهذا الإسقاط هو الذي يبرر الحديث عن المضمون« من خلال شكله لا من خلال جوهره، وهو ما يحدد غاية التحليل ومنتهاه»[2].

ومن ثمة، استمدت هذه الفكرة خصوصيتها التحليلية من طبيعة البحث الدلالي وعلاقته بتجليات المادة الحاملة للمعنى، فمعظم المراحل التي يشير إليها المسار التوليدي* ضمن النص مَبعثُها ما ارتكز عليه "**غريماس**" من أفكار أساسية أثناء بلورته لفكرة تشكّل المعنى وتجسده داخل الوحدات السردية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ توليد الدلالة لا يمر عبر إنتاج ملفوظات منتظمة داخل خطاب ما، بل إنّ الدلالة تستند في وجودها إلى البنيات السردية التي تنتج الخطاب الذي يفترض فيه أنه يتمفصل إلى ملفوظات[3].

إنّ هذا التوجه، يفسر مساعي "**غريماس**" الرامية إلى تبني استراتيجة محددة تعينه على تتبع حيثيات تشكل المعنى في النص، التي

انتهى من خلالها إلى تحديد مجموعة من الآليات الإجرائية، انقسمت بدورها إلى مستويين أحدهما سطحي (متجلٍ) والآخر عميق (محايث).

وإذا كان المبدع يتعامل مع البنيتين السطحية والعميقة للنص تعاملا ينأى عن الممارسة التحليلية والطروحات المنتجة لموضوعية التحليل المجلّية للمعنى، فإنّ هذه البنى لا تعدو أن تكون إلاّ وصفا تجريديا للكيفية التي يبني بها النص عملياته السردية.

وعليه، ولما كان الأمر كذلك فإنّ هذه الصياغة النقدية أخذت بُعدا **ميكانيكيا** في تعاملها مع النصوص، وغدت رؤاها المنهجية وكأنّها تمثلات آلية تسعى إلى ضبط حدود الدلالة تحت ما يسمى **بالدلالة الكلية**المؤطرة للنص، ومن هذا المنطلق فقط جاز لنا أن نلتمس تلك الثغرات التي أملتها خطاطة "**غريماس**" السيميائية، وذلك من خلال الوقوف على العطب الذي أصاب النمذجة التحليلية.

نمذجة النظرية:

"بين انفتاح النص وقيود النظرية"

أخلص "**غريماس**" للنظرة المحايثة إذ اعتبرها عتبة أساسية لبناء مشروعه العلمي القائم على مساءلة المعنى، فكان أن رهن حقيقة الوصول إلى القصد الدلالي بخصيصة الاختلاف والعلاقة والبنية، وعليه، وبغض النظر عن المردودية الحقيقية لهذا الإنجاز الذي تحقق ضمن تصور نقدي جديد، وبعيدا عن درجة استيعابه في الوسط المعرفي وتقبله، فإنّه قد ساهم بشكل أو بآخر في زعزعة كيان النص بوصفه فضاء أيديولوجيا واجتماعيا وثقافيا ينِّم عن روح لا تحدُّها حدود النظرية ولا تقيد امتدادها وسيرورتها المساعي النقدية.

ضمن هذا التصور، ألفينا "**غريماس**" يدخل بالنص السردي منطقة انعطاف حادة في سياق الدرس السيميائي، فإذا «كانت البنية الأولية لدلالة نص ما مفروضة من قِبل البروتوكول المنهجي»[4] والذي يمكن له أن يصل بالنص إلى نقطة نهائية تفضي إلى النتائج قطعية، وإذا كان « المعنى لا يوجد في النموذج النظري بل يتمثل في صورة واقعة ثقافية ذات أثر أيديولوجي»[5] يصح لنا إذن التساؤل عن هذا التضارب الموجود بين انفتاح النص وقيود النظرية المفروضة على هذا النص في إطار خطاطة "**غريماس**"السيميائية.

إنّ هذا النص الذي وصفناه بالانفتاح- وهي طبيعته التي خُلق بها- يُبنى ضمن المنظور **الغريماسي** من خلال إسقاط مسار توليدي يُحدِّد المستويات والعمليات المولدة للمعنى. وعليه، لا يمكن الحديث عن توليد للدلالة إلاّ ضمن هذا المحور الموجود داخل النسق، ولا يتم استجلاء البناء الدلالي إلاّ وفق خطاطة معيارية ثابتة تحدد شكل محتوى العمليات السردية.

استنادا إلى هذا، وإذا جاز لنا وصف خطاطة "**غريماس**" بثبوتية الطرح، وجفاف يكتسي بعدها المعياري شأنها في ذلك شأن القوانين الرياضية، فإنّ هذا المسار التحليلي قد تأثر بسياق التحوُّلات التي شهدتها وتشهدها إيديولوجية القراءات النقدية، فهذا "**فراسنواراستي*F. Restier***"[**] من جهته يتيح فرصة تفعيل التأويل الذي بإمكانه أن يؤكد حقيقة الانفتاح النصي، والذي من شأنه أن يزيح صرامة الوسيط النقدي، ويفتح مجال تعددية النتائج القرائية واختلافها، بحيث يصبح «كل قارئ حرا في تتبع اتجاهه الخاص وفي تغيير المسارات التي يشير إليها النص أو حذفها تبعا لأهدافه ولوضعيته التاريخية، مما يثبت بشكل مخالف لما هو متوقع، موضوعية المعنى، فإذا طالبنا مثلا، من مجموعة من القراء استخراج

تـواترات سمـة دلاليـة مـا، فإننـا سنُسـجل نتـائج متعـددة تشـهد علـى القـدرة الفردية لكل واحد منهم»[6].

تأسيسـا علـى هـذا الطـرح، يمكـن أن نُرجـع مسـألة تقنـين المعطيـات الدلاليـة للـنص مـن قبـل "**غـريماس**" إلى طبيعـة الخطاطـة نفسـها، وإلى طبيعـة التعامـل بهـا في عمليـة القـراءة علـى نحـو مـا تـبرزه الترسيمة الآتية:

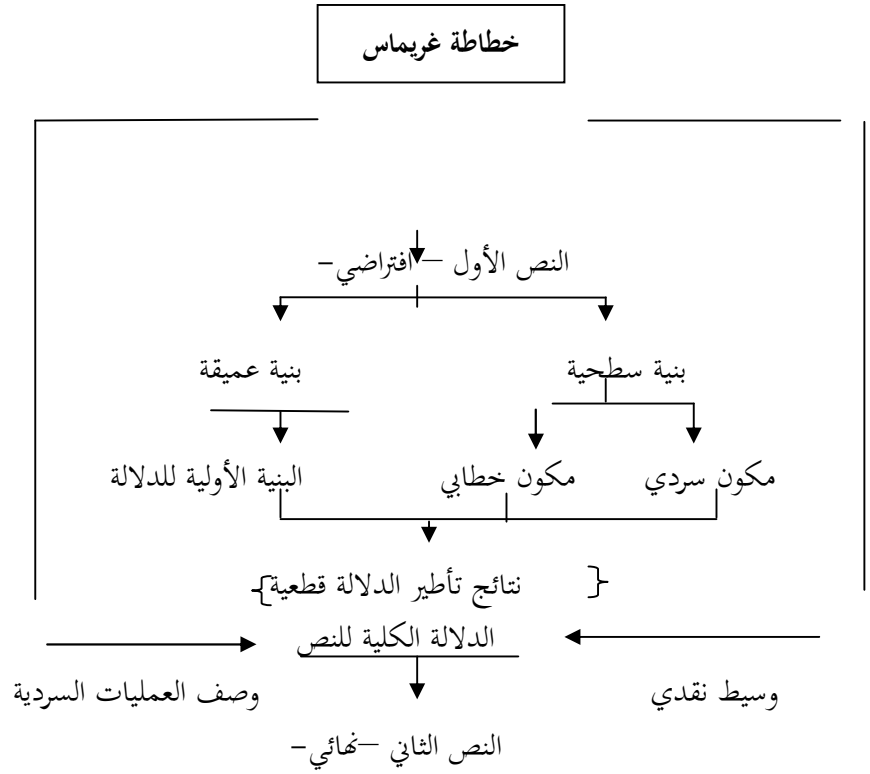

يتضـح مـن خـلال هـذه الترسـيمة أنّ تقنـين المعطيـات الدلاليـة للـنص إنّمـا يرجـع إلى عمليـة الإسـقاط المنهجـي الـتي تُفـرض علـى الـنص باعتبـاره مخـبرا للتجريـب، والـتي تحـدُّ مـن انفتاحـه نظـرا لمـا تحققـه مـن نتـائج دقيقة أثناء التحليل.

وبهذا التصور يغدو نموذج "**غريماس**" -وكما يعتقد **بول ريكور** ***P.Ricoeur*** "-« محكوما بإكراه مزدوج، أحدهما يخضع لإكراهات المنطق، وثانيهما يرتهن لمستلزمات الممارسة، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يستجيب للإكراه الأول من خلال الدفع بالمكونات السردية إلى أقصى حد ممكن داخل المربع السيميائي، إلاّ إذا كانت أهليتنا السردية قادرة على إضافة عناصر ملائمة من طبيعة توزيعية»[7]، ذلك أنّ الإمساك بدلالات النص لا يستوجب الانحصار ضمن الفكرة التي تقضي بضرورة تقليص المعنى والقبض على تشكّلاته من خلال الحدود التي تحدّه، ولا يتهيأ له تلمس معانيه العصية في إطار التصور الذي يفيد بأن النص «وعاء لمعنى مكتمل ومكتف بنفسه، ويمكن بالقليل من الجهد النظري والمثابرة التحليلية التعرف عليه وتحديده باعتباره الحد المجرد لنص مشخص»[8]، إنّ المعنى وعلى خلاف ذلك يفيض عن النص الذي يحتويه ويتجاوز حدود التأطير لأنّه يشّب عن طوق المعيارية ويستشرف آفاقا لا نهائية، كونه يتعارض مع الموقف التفسيري ذي النزعة العلمية، وهو موقف يعكس -من منظورنا- حقيقة المأزق الذي وقعت فيه خطاطة "**غريماس**" القرائية، فهي بهذا الاتجاه التحليلي حوّلت القارئ إلى متلق سلبي يتعامل مع النص تعاملا آليا، أُسندت له مهمة تنفيذ برنامج معطى بشكل مسبق، إذ سعت بموجب صنيعها إلى تقييد المعنى ووضعه في قالب مغلق مفصول عن آفاقه الممتدة نحو العوالم المفتوحة.

وبهذا، فإنّ الرؤية التي خصّتها السيميائية السردية للنص إنّما تعكسها تلك البرامج التحليلية التي ألغت بصيغة مباشرة المرجعيات التي لا تعتمل بصيغة مباشرة داخل النص، ليكون المعنى من منطلق تصورها محايثا للنص « إنّه حاصل علاقات تتحقق داخل نسق وحاصل الاستبدالات الممكنة لهذه العلاقات»[9]. واستنادا إلى هذه الرؤية، يتجلى مبدؤها المحايث الذي يؤيد فكرة انغلاق النص واكتفائه

بذاتـــه، وبالتـــالي فـــإنّ الســـيميائية الســـردية لا تســـعى إلى خلـــق عـــوالم جديـــدة للنصـــوص المعروضـــة للتحليـــل، وإنّمـــا تكتفـــي بإعـــادة صـــياغة مـــا يقـــوم الـــنص بتمثّلـــه ضـــمن مســـار مجـــرد، ليغـــدو المعـــنى متجليـــا بصـــورة آنيـــة تنـــأى عـــن فكـــرة الأخـــذ بأســـبقية النســـق ولواحقـــه، ولا فائـــدة إثـــر ذلـــك مـــن الحديث عن ما يحيل إليه المعنى خارج النسق.

وعلـــى هـــذا الأســـاس، يمكـــن الإشـــارة إلى إكراهـــات القواعـــد المنهجيـــة الـــتي لا تســـمح بالـــذهاب إلى مـــا هـــو أبعـــد مـــن النســـق الـــداخلي، ولعـــلّ فكـــرة القـــبض علـــى الدلالـــة الكليـــة المـــؤطرة للـــنص أبلـــغ دليـــل علـــى محاولـــة تقييـــد الـــنص، **فغـــريماس** كـــان حريصـــا كـــل الحـــرص علـــى الكشـــف عـــن مـــا يوحِّـــد دلاليـــا بـــين وحـــدات الـــنص المعنويـــة المبثوثـــة في أجزائـــه، ليكـــون هـــذا التوحيـــد مـــن منظـــوره هـــو المعلـــن عـــن القـــراءة الموحّـــدة للخطـــاب، ولنـــا أن نتبـــع هـــذا المســـار المفهـــومي فيمـــا جـــاء علـــى لســـانه، يقـــول :« إنّ حقيقـــة وجـــود الخطـــاب إنّمـــا هـــو رهـــين بوجـــود تشـــاكل موحّـــد بـــين مجمـــوع الجمـــل الـــتي تشـــكله، ويمكـــن التعـــرف علـــى هـــذا التشـــاكل مـــن خـــلال تـــراكم جملـــة مـــن المقـــولات اللغويـــة الـــتي تخـــترق هـــذا الخطـــاب مـــن بدايته إلى نهايته»[10].

إنّ ارتبـــاط الخطـــاب علـــى نحـــو مـــا جـــاء بـــه هـــذا التصـــريح بنظـــام التشـــاكل الـــذي يـــؤطِّر تواجـــده، يـــؤدي لا محالـــة – ووفـــق زعمنـــا– إلى الحـــدّ مـــن توالـــد دلالات هـــذا الخطـــاب، وعليـــه، ولمـــا كـــان الخطـــاب يتميـــز بســـيرورة لا نهائيـــة لدلالتـــه، فإنّـــه مـــن الأنســـب تجـــاوز هـــذه الرؤيـــة إلى مـــا يـــبرز الخصوصـــية الخـــارج حكائيـــة للتشـــاكل، ومـــن ثم للخطـــاب، ولعـــل هـــذا مـــا اســـتدركه "**فرانســـوا راستـــي**" حـــين أدرج هـــذا المفهـــوم ضـــمن المســـار التـــأويلي[***]، فانطلاقـــا مـــن المبـــدأ الـــذي يفيـــد بـــأنّ كـــل معـــنى كيفمـــا كانـــت مســـاراته، هـــو نتيجـــة عمليـــات التأويـــل الـــتي تجعلـــه متعلقـــا بالاســـتراتيجية الـــتي يكوّنهـــا الـــنص بتفجـــير داخلـــه علـــى خارجـــه، يؤكـــد "**راستـــي**" « أنّ الطبقـــات الدلاليـــة والتشـــاكلات المرتبطـــة بهـــا، لا تتأســـس

من النسق الوظيفي للغة فحسب، ولكن تنبع أيضا من السجل الكلامي ومما تقدمه القيم المتولدة عن مختلف الأنساق الاجتماعية»[11] ليغدو التشاكل من منطلق الخاصة الخارج حكائية مرتبطا بنظام محتمل يسمح بتجاوز القراءة الموحدة للنص ويدمج الأنساق الاجتماعية كأساس لاستقراء المكونات الدلالية.

لذلك، ولما كان النص يتشكل في أساسه من جملة من الأنساق اللغوية فضلا عن التسنينات الإجتماعية، فإنّ هذه الأنساق هي نفسها التي لها أن تتدخل في تأسيس الأنماط السيمية لتكسبها سمات تميزية متحولة غير ثابتة، ضمن هذا الإعتبار، ميَّز "**راستي**" بين السيماتاللصقية (***Sémesinhérents***) المرتبطة بالنسق الوظيفي للغة، وبين السيمات العائدة (***SémesAffférents***) المرتبطة بمختلف الأسنن الاجتماعية، محدِّدا بذلك السمات الخاصة بكل نمط، فالسيماتاللصقية تتسم بأنّها: تقريرية، تمييزية، نهائية وكونية، على عكس السيمات العائدة التي توصف بأنّها، إيحائية غير تمييزية، لا نهائية، وغير كونية[12]، وعليه، وباعتماد القيمة الاجتماعية التي تنضاف إلى القيمة اللسانية في تمييز الوحدات الدلالية للنصوص، فإنّ هذا سيؤدي حتما إلى خلق متغيرات دلالية وإلى تفعيل التأويل، مما يسمح بتأكيد فكرة انفتاح النص، ومما يؤكد ضرورة تجاوز النمذجة النظرية في التعامل مع النص المنفتح.

يبدو أنّ هذا التصور قد نبّه لما شكَّل مأزقا قرائيا في خطاطة "**غريماس**" السيميائية، فعوض أن تسعى هذه الأخيرة إلى فتح النص على الاحتمالات الممكنة، اكتفت بالحد من المد الدلالي للنص، والتقليص من الإمكانات المتاحة لتجعله متأطِّرا حول محور دلالي تحكمه قيمة دلالية واحدة، ولا مجال بذلك إلى الحديث عن تعددية المعاني، وبالتالي، فإنّ عمل القارئ سيكون بموجب هذا الطرح محكوما بقصدية النص التي تُجلّيها بؤرته الدلالية المركزية، وسيكون

بذلك ممتثلا لمبدأ التفسير الذي سيمكّنه من بسط الوصف العلمي والموضوعي للنص.

من هذا المنطلق يمكننا القول، إنّ صرامة الخطاطة **الغريماسية** أحالت الحدود الوصفية للنص إلى قيد ثابت على آليات إنتاج المعنى، واستثماره داخل النصوص-السردية بالأخص-، ولاشك أنّ هذا التعامل الإجرائي لا يمكن أن يفضي إلى بنى أعمق مما تشير إليه العلائق الداخلية، ليتحول« أمر إنتاجية القراءة -كما صرح بذلك "**غريماس**"-مستبعدا بل مستهجنا في الكثير من الأحيان»[13].

فأحادية القراءة وفق هذا المنظور، هي المعادل لما يترجم وحدانية المحتوى الذي يتضمنه النص، مما يضع حدا للمغامرات التأويلية، واستنادا إلى هذا فلا نستبعد أن تنتهي رحلة البحث عن المعنى النهائي للنص، لأنّها تسحب النص في هذه المرحلة ولا تترك له مجالا للبروز بطاقاته الدفينة في مرحلة أخرى.

إنّ محاولة تلمس قصد النص المعنوي الموجّه من الخطاطة التحليلية وقياس حدوده قد يشكك من قيمة القراءة الاستكشافية وقدرتها اللامتناهية على تبني مختلف الرؤى الإيديولوجية، وفي هذه الحالة « لن تكون هناك أحداث ولن تكون هناك مفاجآت وتشويقات، ولن يكون هناك شيء يروى، وسيكتفي التركيب السردي السطحي بوصف تناقضات تامة وعلاقات ضدية تامة واقتضاءات تامة»[14]، وهي علاقات يتضمنها النص الثقافي قبل أن تتجسد في نص بعينه، وكما هو الحال كذلك، فإنّ خصوصية النص الدلالية والجمالية لا تتحدد من خلال النماذج التأطيرية، بل بإحالتها على اللاملموس من الأبعاد الثقافية والاجتماعية وغيرها.

وعليه، فلا رجاء في أحادية القراءة ولا أمل في رؤية نص يتشبع ذاتيا ويستقر ضمن حضور نهائي، ولا وجود لقصدية توجه النص نحو غاية دلالية بعينها، فما « يطلق العنان للدلالة هو ذاته ما

يجعل توقفها أمرا غير ممكننا»[15]، فالنص المتجلي بوساطة اللغة والأنساق المكتملة لها، إنّما يندمج ضمن لعبة متنوعة للدوال، « ذلك أنّه لا يحتوي على أي مدلول متفرد ومطلق، ولا وجود إثر ذلك لأي مدلول متعال، ولا يرتبط الدال بشكل مباشر بمدلول يعمل النص على تأجيله وإرجائه باستمرار»[16].

وممّا يبدو واضحا استنادا إلى ما سبق، أنّ « الأنموذج المحايث إنّما يبني أساسه على مبدأ الاستقرار ما يجعل العديد من نتائجه تتحول إلى مسلمات لا ينفك منها أي نموذج لاحق»[17]، وما ينجرّ عن ذلك انقياد الطرح المحايث صوب وضع ضوابط متكافئة بين إنتاج المعنى داخل النص وآليات تحديده وتوجيهه، وبالتالي، فإنّ إمكانية التنقيب عن الدلالة الأصلية في النص-كما هو مثبت في تصور "**غريماس**"- يشكل عائقا منهجيا كونه يتجاهل السياق الثقافي الذي يقعّد النص ويصدِّق على دلالته[****].

وعليه، فإنّ مثل هذا التصور، قد يشكك في صلاحية كل الإجراءات التحليلية التي اعتمدها "**غريماس**" ضمن خطاطة السيميائية، ولعلّ هذا ما كان قد أشار إليه "**جاك فانتاني** ***JaquesFontanille***" حين تنبه إلى محدودية آلية المربع السيميائي، « فبمجرد إنشاء مربع سيميائي في أثناء تحليل نص أدبي- من منظوره- يعني هذا أننا أمام مقولة ثابتة يكون تكوينها منتهيا، ومادام البحث عن الكيفية التي تجري بها عملية التلقي من تجميع لمجموع الأشكال، واختيارها وترتيبها من أجل تنظيمها في مقولات يبقى مستعصيا، فإنّه لا يمكن للتحليل القائم على المربع السيميائي استيعابها، وكون الحال كذلك فينبغي البحث عن مناهج أخرى ونماذج جديدة للتحليل تدمج هذه الفرضيات الجديدة»[18].

والحاصل، فإنّ الاستكانة إلى الخطاطة الجاهزة أثناء القراءة تتسبب من منظور "**بنكراد**" في إفقار النص، ذلك « أنّ المعنى في

هذه الحالة لن يقول إلاّ ما تسمح به هذه الخطاطة، ومعناه بعبارة أخرى، أنّ المعنى ليس في النص، بل في الحقائق الثابتة داخل الخطاطة»[19]، وكون الحال كذلك فستظل هذه الخطاطات التقنية جوفاء بدون أية مردودية تحليلية، « إنّها ما يُمكّن من التعرّف على ما نبحث عنه ونحن على علم به بشكل سابق، فالغاية مدرجة في النموذج، والمعنى في النموذج، والنص مكتوب وفق غايات النموذج أيضا وكل ما لا يستقيم داخل هذا النموذج لا يمكن أن يكون سوى مضاف عرضي لا يُمكن الأخذ به»[20*****]، فيصبح بذلك النص ثابتا مستكينا، ويتحوّل جرّاء ذلك القارئ إلى مجرد آلة مبرمجة مدعّمة بآليات تقنية هدفها الوحيد هو الوصول إلى سر النص الحقيقي.

وعليه، وفي خضم هذا الصراع بين النص وآليات قراءته نلفي "**بنكراد**" يتصدى بقوة لمخلّفات التأطير المنهجي، فإذا كان النص في توجّه "**غريماس**" «مُبرمج بشكل سابق على حالات التجسيد اللساني، ولن تقوم الصيرورة التسريدية من خلال حالات المتابعة سوى بتفجير الطاقة المنطقية التي يحتضنها النموذج التأسيسي في حالته البدئية المجردة ونشرها في وقائع محسوسة، وسيقود التعرف على آليات هذه البرمجة إلى الكشف عن البنية الدلالية العامة للنص السردي»[21]، فإنّ هذه الرحلة التحليلية ستكون بمثابة « رحلة لاهوتية محكومة بقصدية مطلقة تقود بين طرفين معروفين: أصل مولد لا تدركه الأبصار أولا، ثم تحققه من خلال نسخة مشخصة ثانيا، وهذه النسخة هي سبيلنا الأوحد للتعرف على الأصل الأول والعودة إليه من جديد»[22].

إنّ مسألة مثل هذه قد تحدّ من طرح الإمكانات الدفينه في النص، كما قد تشكك في جدوى القيمة الاستكشافية لأي تحليل، فإذا « كانت هذه العمليات مبرمجة بشكل سابق داخل بنية دلالية بسيطة تحتوي على سلسلة من العلاقات هي ما يجب تطويره لاحقا

لإغناء النموذج من خلال تحققه في واقعة نصية مخصوصة (النص السردي في حالتنا)، فإنّ النص يكشف بشكل مبكِّر عن كل أسراره، ولن يقوم القارئ سوى بالكشف عن معنى مودع بشكل سابق في النص ويتخذ شكل تناظر دلالي عام على المحلل أن يصل إليه»[23].

واستنادا إلى هذا، فإنّ آلية تحديد الدلالة الكلية للنص لا تكتسب أهميتها التحليلية كونها ستكون بذلك أداة للإغلاق لا للفتح، ولئن كانت محاولة رصد الأسئلة الضمنية التي يطرحها النص في سيرورته اللامتناهية، فإنّه من الضلال –كما يذهب إلى ذلك بنكراد- « أن ننظر إلى النصوص باعتبارها كليات دلالية تخضع لقانون أسمى هو قانون البنية الدلالية الأولية المودعة سرا في النص»[24]، فوحدة النصوص وانسجامها ليست نتاج مضمون دلالي أصلي مخبّأ في الأجزاء، كما جاء في مقترحات "**غريماس**" النظرية، بل « تستند إلى السيرورات التأويلية التي تشير إلى غنى التوقعات والممكنات التي تدفع القراء إلى البحث عن أشكال معينة من التنظيم في النص والاهتداء إليها باعتبارها إمكانا ضمن إمكانات أخرى»[25]، فلا يمكن من هذا المنطلق أن نعتقد بوجود ضوابط تقيد إمكانات النص التدليلية، ولا يمكن في ظل هذا الاعتقاد أن نتصور معنىً مكتفيا بذاته، قادر على بسط احتمالاته الدلالية خارج الأفق القرائي المستقبِل له، وعليه، وإن كان إلزاما على القراءة أن تتعرف على امتدادات المعنى، فإنّ ذلك سيكون جزءا من « صيرورة تشكله، والتعرف على الواقعة الدالة هو إمساك بصيرورة تعد انتقاء سياقيا مخصوصا، أو هو فرضية للقراءة، وهو ما يُلغي فكرة التعرف التام على معنى النص»[26].

من منطلق ما قيل، تتبدى نقطة التحوّلات لتحقيق أطروحة"**غريماس**"،إلاّ هذا التحول لصياغة "**غريماس**" في بنيتين ذات بعد جشتالي يأخذ منحا في الساحة النقدية، ذلك أنها إذا كانت ذا رؤيا هذه البنيات في مستوى نظري مجرد، تجعلها تبدو

منتجة،" فإن رؤيتها بوصفها معيار الإنتاج أو تلقي النصف فعليا يجعلها غير مقنعة، كونه الحد الأدنى متى تستطيع إثبات كفاءتها بوصفها صيرورة منهجية دقيقة للإنتاج والتلقي"[27].

ولعل هذا الفشل نابع في الأصل من طبيعة القاعدة التي تظهر بموجبها خطاطة "**غريماس**"، والتي كانت مؤطر فقط للكشف عن الكيفية التي يبني بها المعنى، غير أن هذا الطموح النقدي طرح استقرائي يعين على الإحاطة بكيفيات بناء المعنى، فإنه في حقيقة أمره كان يسعى إلى انتهاج النمذجة التي لم تتجاوز حدود البناء النصي.

ضمن هذا التصور يظهر الفارق بين مسألتين متلازمتين، الأولى منها تتعلق بكيفية بناء المعنى، والثانية مرتبطة بكيفية النص، "إن بناء المعنى هو قبل كل شيء قضية ذريعة تداولية، ترتبط بالمعرفة الخلفية وبالوضعيات الشارطة لفعل الإدراك، ومن السمات المميزة لهذه الصيرورة الذهنية المتضامنة كونها غير محصورة عند ما هو مكتوب مستحق لاسيما النص"[28]

في حين يكون بناء النص ذلك فهو قبل كل شيء قضية إجناسية ترتبط أساسا بحدود الجنس و الخطاب"29

وعليه، وما دام كل طرف حدد بكيفية معينة تختلف عن سابقتها، فإن خطاطة "**غريماس**" بذلك لم تكن لتبلغ الهدف الذي يمكنها من التعرف على مسالك بناء المعنى، وإن كانت تزعم بأنها تقدم وصفا دقيقا له، فإنها في واقع الأمر لم تكن تقدم إلا وصفا صوريا لبناء ما لنص سرديا"30... ولذلك فإن لحدود المنطقية التي اقترحها "**غريماس**" "حالما تملأ بالمحتويات المستنتجة من النص بواسطة آليات الاختزال المفترضة من قبله- تفقد منطقيتها- ليغدو بذلك القالب المنطقي كما لو كان

ذريعة لإعطاء الحدس و الفرضيات صبغة علموية"31، و هكذا تفترض هذه الحقيقة للاستفسار عن صيرورة الاختزال وطرح الأسئلة حول مد مطابقة آليات النموذج وملائمتها الخصوصيات الخطاب السردي.

بناء على هذا الاستقطاب، يغدو هذا التصور الأساس الذي انحدر بنموذج "**غريماس**" صوب مأزق التأطير الآلي، وهو الذي أكسب القراء نمطية تقنية مجردة من

البعد الأيديولوجي، وعليه مهما توفرت الكفاءة المعرفية للقارئ فضلا عن الخلفي الثقافية، فإنها ستلغى وتوضع جانبا، و سيجد هذا القارئ ذاته لا محالة المنهجية النظرية التي تقوده لنهج طريق لا يحيد عنه، يكون من منطلقه بنية التجلي النصي بغض النظر إلى البنية الأولية للدلالة التي يطرحها هذا التجلي، و لئن كانت خطاطة "**غريماس**" كما يزعم صاحبها خطاطة للإنتاج، فإنها بذلك تقصي من تركيبها مظاهر التلقي مما لا يسمح لها بإطلاق العنان للمعطيات الأيدلوجية.

ولهذا السبب فقط، المعنى الأيديولوجي المؤسس – والذي لا تعدو أن يكون البنية الأولية للدلالة سوى عماد مادي له (أي موضوع مباشر أولي)- لا يتطلب من أجل وصف سيرورته الإنتاجية قراء مستندين على مقولات منطقية، تتطلب الارتكاز على مقولات أكثر دينامية تتقاطع والأسئلة التأويلية.

الهوامش المراجع المعتمدة:

[1] – سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 2012، ص.201

[2] –المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[*] – المسار التوليدي ***ParcourtGénératif*** مفهوم مركزي في السيميائيات السردية، إنّه يشير بصفة عامة إلى صيغة بالغة العمومية تختصر مجمل التمفصلات التي يتحدد من خلالها نص ما، إنّه سيرورة تقود من أشد المستويات تجريدية (النموذج التكويني، أو البؤر الأولية داخل مسار تشكل الدلالة) إلى أشدها محسوسية (المحافل النهائية) من خلال مستوى توسطي (السرد) وهو الرابط بين المستويين، وكما يدل على ذلك معناه الظاهري، فإنه يشير إلى السيرورة التي تسلكها الدلالة لكي تستقيم من خلال مراتب النص: الانتقال من محور دلالي من قبيل، شر (م) خير إلى إسقاط حالات إنسانية تتحدث عن الصراع بين الخير والشر.
ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التأويل،(م.س)، (م.س)، ص 298.

[3] – *Voir, A.J. Greimas, du Sens, éd, Seuil, 1970, P159.*

[4] – عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي-نحو تصور سيميائي-، منشورات الأختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص 142.

[5] – سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 2008 ، ص19.

-إنّ الإنجـازات الـتي قـدمها "فراسنواراستيـي**" في هـذا المجـال تمثلـت في تجـاوزه لنظريـة "**غـريماس**" حـول مـا أسمـاه بالتشـاكل الـدلالي، وراح وفـق نظرتـه التأويليـة يؤسـس لتوجـه جديـد يكـون مرتكـزه مبـني علـى أسـاس مـا تحققـه السـيرورة التأويليـة مـن كشـف للأبعـاد اللامتناهية للدلالات وقد طرح هذا الإنجاز أو التجاوز في عمله الموسوم بـ:

-F.Restier,Sémantique interprétative,éd,Puf,1987.

-[6]F.Restier,sens et textualité,éd,hachette,1989, p 18.

-[7] Voir, P.Ricoeur,Du texte à l'action,éd,Seuil,1986, P29.

وينظر أيضا: سعيد بنكراد، سيرورات التأويل،(م.س)، ص.ص231.232.

[8]- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل،(م.س)، ص .232

[9]- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل،(م.س)، ص.ص، 263،264.

10-A.J.Greimas,Maupassant,la sémiotique du texte :exercices pratiques, seuil, paris, 1976 ,P28.

[*]** - يبـدو أنّ السـيميائياتالبنوية بمعيـة اللسـانيات لم يعـد بوسـعهما مـن منظـور "**راستيي**" إنتاج نظرية للتأويل وذلك لثلاثة أسباب مرتبطة فيما بينها، هي:

1- طابعها الاستنتاجي (**غريماس** ، **يلمسليف**).

2- طابعهـا التوليـدي (**تشومسـكي**، **غـريماس**): الـنص هـو نقطـة وصـول عملية التوليد (وليس نقطة انطلاق التأويل).

3- طابعهـا الشـكلي الـذي دفـع "**يلمسليـف**"و"**تشومسـكي**" إلى رفـض علـم الدلالـة، ثم القبـول مـن بعـد بمنحـه دورا ثانويـا جـدا رغـم كـل الاختلافـات الـتي يمكن أن توجد بينهما.

ينظـر: فرانسـوا راسـتيي، مواضـيع وأسـاليب التأويـل، تـر: عبـد العلـي اليزمـي، مجلـة علامـات، مكنـاس المغـرب، العـدد 11، 1999، عـن موقـع سـعيد بنكـراد: *www.saidbengrad.free.fr*

11- *Voir : F.Rastier,Sémantique interprétative,P12.*

وينظـر أيضـا: حبيبـة الصـافي، سـيميائيات ايديولوجيـة، النايـا للدراسـات والنشـر والتوزيـع، محاكـاة للدراسـات والنشـر والتوزيـع، دمشـق، سـورية، الطبعـة الأولى 2011، ص.ص .111.110

12-F.Rastier,Sémantique interprétative,P44.

[1]3 -*A.J. Greimas,J :courtés,Sémantique, dictionnaire raisonne,hachette,Paris,1979,ArticleLecture.*

[1]4 - *P.Ricoeur, Le Grammaire narrative de Greimas,Actes Sémiotiques, 1982 ,P10.*

-[1]5*Jacques derrid, de la grammatologie,éd Minuit,1967,P72.*

16- أمبيرتـو إيكـو، التأويـل بـين السـيميائيات والتفكيكيـة، تـر: سـعيد بنكـراد، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضـاء، المغـرب، بـيروت، لبنـان، الطبعـة الثانيـة، 2004، ص ص،.124،125

17- عبد اللطيف محفوظ، آليات انتاج النص الروائي، (م.س)، ص 12.

[*]***- لا ينبغي أن يُفهم من السياق الثقافي ذلك المعنى الذي جاءت به التيارات النقدية التقليدية وتبنته ضمن طروحاتها، بل إنّ السياق الثقافي من هذا المنظور هو تمثيل رمزي متأصل في النص عبر مرجعيات غير المرئية من خلال عناصر تحققه.ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، (م.س)، ص .328

-[1]8*Jacques fontanille,Sémiotique et littérature,essais de méthode,Puf,Paris,1999,P45.*

وينظر أيضا: قادة عقاق، مأزق السيميائية- قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي- مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص28.

19-سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، (م.س)، ص.24

20-المرجع نفسه، ص.ص 25.24.

[*]****- المقصود بالنموذج هنا هو سلسلة من التراكمات المندرجة ضمن الدفق الزمني لسلوك مفرد يتميز بالتكرار. ينظر: سعيد بنكراد، ممكنات النص ومحدودية النموذج، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، دورية محكمة يصدرها فريق البحث لمخبر الدراسات الأدبية والنقدية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الأول، 2005، ص14.

1[2]-المرجع نفسه، ص19.

2[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[24] - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، ص .318

5[2]-المرجع نفسه، ص .318

6[2] -المرجع نفسه، ص .319

7[2] - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي، نحو تصور سيميائي، (م.س)، ص 139.

8[2]-المرجع نفسه، ص .140

9[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

0[3] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.